وكان الرسول خير أُسوة تحتذيها[891]، ويحتذيها معها كلّ منافح[892] يعمل على توطيد[893] حرّية الكلمة، النابعة من اليقين. فلقد علّمهم أنّ الدين سلوك، علم يُبتغى فيه وجه ا، وخير البشرية جمعاء، لا خير جماعة دون جماعة، أو جنس دون جنس، أو فرد يتطلّع إلى صالحه الخاصّ أو يعمل رئاء الناس. إنّه إسلام القلب والمشاعر لربّ هذا الوجود ... تجرّ ُد من الأنانية، إخاء في الإنسانية، رحمة وتوادّ، هجرة إلى ا. فما كان عَبَثاً دَأب[894] محمد طوال ما مضى من أعوام على غرس أشرف الفضائل، وأرفع القيم، وأسمى المثل في الصدور، لا بالكلام الرائع والعبارة البليغة، إنّما بترجمة محكم التنزيل إلى أفعال. بل كان عليه الصلاة والسلام كالماء الرائق النقيّ الذي ينضح عنه إيمانهم الصافي الشفّاف. أم من ذا أحقّ منه بأن يكون الأُسوة المثلى للبشرية، يحتذيه أبناؤها في كلّ زمان ومكان، في كلّ قول وفعل وتقرير؟ أم لِمَ اختاره ا ـ حين بعثه رسولاً ـ من بين خير خلقه خيرهم أجمعين؟ أطيبهم خلقاً ... أطهرهم نفساً ... أعظمهم فطنةً ... أصلبهم عزماً ... أكملهم شخصيةً يعزّ نظيرها في البشرية، ولا يطاولها أسمى إنسان في جنس الإنسان. وحين تشهد له الزهراء بقدره الرفيع هذا الذي يضرب في السموّ إلى أعلى سماء، فإنّها لا تشهد له فقط لأنّه أبوها الذي اقتطعت من صلبه كما اقتطع من آدم وجود حوّاء، ولا لأنّ بنوّتها تعطفها عليه، ولا لأنّها خَبَرته خبرة عشرة ومعايشة بالعقل